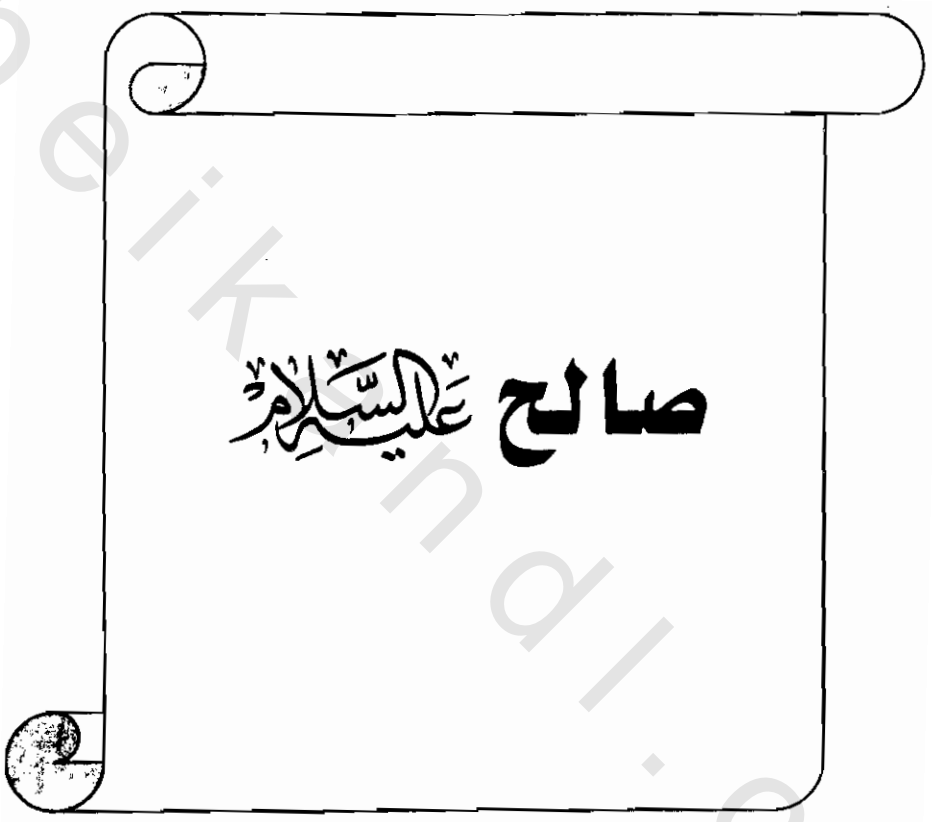

obeikandl.com

obeikandl.com

صالح عليه السلام

هو نبي الله صالح بن عبيد بن أسف ويمتد نسبه إلى سام بن نوح، نشأ صالح عليه السلام في قبيلة ثمود، وهي القبيلة التي سميت باسم الجد الأكبر لهم وهو الجد الخامس لصالح عليه السلام وتوجد هذه القبيلة بين الحجاز والشام، وهي قبيلة عربية مشهورة، وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام مثلهم؛ فبعث الله لهم رجلاً منهم هو صالح عليه السلام وكانت دعوته بعد دعوة هود عليه السلام [١].

مساكن ثمود وآلهتهم:

كانت مساكن ثمود بالحِجر، وهو مكان بين الحجاز والشام، ومدائن صالح ظاهرة حتى الآن، ويعرف الآن بـ(فج الناقة)، وكانت مساكنهم في مناطق جبلية، ويوجد في ديار ثمود بئر يسمى (بئر ثمود).

ولمَّا نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بالحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منه ونصبوا لها القدور.

فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور، وأطعموا العجين للإبل، ثم ذهب بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منه الناقة، ونهاهم أن

---

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا، وقال ﷺ: «**إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم**»(١).

وقد كانت ثمود تتعبد لأصنام كثيرة منها: ود، وشمس، ومناف، ومناة، والسلات... وغيرها.

دعوة صالح عليه السلام إلى قومه:

اختار الله سبحانه صالحاً عليه السلام لأداء رسالته، واصطفاه لتبليغ الدعوة إلى قومه، فأرشدهم إلى عبادة الله وحده وترك الأصنام، فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وأخبر صالح عليه السلام قومه أنهم سيبعثون بعد الموت وفناء الحياة الدنيا، وأن الله تعالى سوف يبعث مَن في القبور، وسيحاسبهم على كفرهم وعصيانهم وعدم اتباع رسلهم، وعتوّهم عن أمر ربهم، وأنهم سيتوقفون للحساب، فيجازون بحسب ما قدموا في حياتهم الدنيا، وأن الحياة الآخرة صدق، وأنها الحياة الحقيقية الدائمة، إما في النعيم وإما في الجحيم، فردَّ عليه الملأ من قومه قائلين: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣ ـ ٣٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٢/ ١١٧).

ثم قال لهم عليه السلام: هل تظنون أن الله سيترككم فيما أنتم تتمتعون به من هذا النعيم، آمنين على أنفسكم من حلول عذاب الله بكم، فتنعمون بالزروع والبساتين والنخيل، وتنحتون من الجبال بيوتاً لتسكنوا فيها، ثم لا تشكرون الله على هذه النعم الكثيرة؟

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ناقة صالح عليه السلام:

مرَّت الأيام بصالح عليه السلام وهو يدعو قومه، وفي ذات يوم وجدهم مجتمعين في ناديهم، فجاءهم عليه السلام فدعاهم إلى الله وحذَّرهم غضبه وعقابه إن ظلوا على كفرهم.

فسألوه إن كان نبيًّا أن يأتيهم بآية من الله، تؤكد صدق ما جاء به مِن نبوة، وحددوا الآية أن تكون ناقة عظيمة، واقترحوا بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم منفردة في ناحية الحِجر.

وأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق إن أجابهم الله تعالى إلى سؤالهم وطلبهم بأن يؤمنوا بالله ويعبدوه ويتبعوا صالحاً عليه السلام [1]، وهنا قام صالح عليه السلام يصلّي لله عز وجل ويدعوه، فاستجاب الله له وتتحرك الصخرة وتتصدَّع، وتخرج منها ناقة عظيمة يتحرك جنينها بين جنبيها.

جاءت الناقة كما سألوا، وأول مَن آمن منهم سيدهم (جندب بن

---

(١) «صفوة التفاسير»، محمد علي الصابوني. (بتصرف).

عمرو) ومن كان معه على أمره، وصدَّهم عن الإيمان (ذؤاب بن عمرو بن لبيد) و(الحباب) صاحب أوثانهم.

وصف ناقة صالح عليه السلام:

كانت الناقة خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً، إذا مرَّت بأنعامهم نفرت منها، وجعل الله لها شرباً في يوم معلوم، وجعل لهم شرباً في يوم غيره، وأمرهم صالح عليه السلام ألاَّ يمسُّوها بسوء، فلا تُعَذَّب ولا تُطرد ولا تُركب ولا تُذبح، وأوعدهم بالعذاب إن هم اعتدوا عليها بسوء، وأن سلامتهم مقرونة بسلامتها.

قال تعالى على لسان صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦].

قتل الناقة:

كان سبب قتل الناقة أن امرأة من قوم صالح يقال لها (عنيزة بنت غنم) وتُكنى أم عثمان، وكانت عجوزاً كافرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال كثير، وكان زوجها (ذؤاب بن عمرو) أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخرى يقال لها (صدقة بنت زهير)، وكانت ذات حسب ومال وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته.

دعت (عنيزة بنت غنم) (قدار بن سالف) وكان رجل أحمر قصيراً، وقالت له: أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة، فأجابها، ودعت (صدقة بنت زهير) رجلاً يقال له (الحباب) فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة؛ فأبى عليها، فدعت ابن عم لها يقال له

(مصداع بن مهرج) فأجابها إلى ذلك.

فعند ذلك انطلق (قدار بن سالف) و(مصدع بن مهرج) فأتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: ٤٨].

وكانوا رؤساء في قومهم، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكاملها، فطاوعتهم على ذلك.

وانطلقوا يرصدون الناقة حين انتهت من شرب الماء حيث كَمَنَ لها (قدار بن سالف) خلف صخرة على طريقها، وكمن لها (مصداع بن مهرج) خلف صخرة أخرى على طريقها، ومرَّت الناقة على (مصداع) فرماها بسهم فأصابها في ساقها، ثم أسرع (قدار بن سالف) فشد عليها بالسيف، فكشف عن عرقوبها، فخرَّت الناقة ساقطة على الأرض، فنحرها[1].

قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٢ ـ ١٥].

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**ألا أحدثكما بأشقى الناس، رجلين؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «**أُحَيْمَر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي**»[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١٤١)، وأحمد في «مسنده»: (٤/٢٦٣).

هلاك ثمود:

بعد أن عقر الناقة أشقى أهل الأرض (قدار بن سالف)، بلغ الخبر صالحاً عليه السلام، فلمَّا رأى الناقة بكى وقال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٦٥].

وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلمَّا أمسى أولئك التسعة رهط عزموا على قتل صالح عليه السلام، فلمَّا عزموا على ذلك جاءوا من الليل ليقتلوه، فأرسل الله سبحانه عليهم حجارة، فقتلتهم قبل قومهم.

وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام.

وأصبحوا في اليوم الثاني وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة.

وأصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم السبت ووجوههم مسودة.

فلمَّا كان صبيحة يوم الأحد (اليوم الموعود) تأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب، وكيف يأتيهم العذاب.

وأشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس في ساعة واحدة[1].

ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه ممن آمن معه رضي الله عنهم.

ونجَّى الله رسوله ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).